17 Surah Isra Imam Ahmad bin Umar Najmuddin Kubraa

تفسير سورة اسريٰ (بني اسرائيل)

تفسير التاويلات النجميه في تفسير الاشاري الصوفي

الامام شيخ احمد بن عمر معروف به

نجم الدين كبريٰ رحمة الله عليه

* تفسير التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي/ الإمام أحمد بن عمر (ت618 هـ) مصنف و مدقق مرحلة اولى

{ سُبْحَانَ ٱلَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَا ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلبَصِيرُ } * 1{ وَآتَيْنَآ مُوسَى ٱلْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً } *2 { ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً } *3 {وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي ٱلْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً } *4 { فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ ٱلدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً }5

{ سُبْحَانَ ٱلَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً } [الإسراء: 1] للتعجب فيها يشير إلى أعجب أمرٍ من أموره جرى بينه وبين أفضل خلقه، وأخص عبيده، وأحبهم إليه، وأقربهم لديه، وأعظمهم قدراً، وأكملهم مقاماً، وأرفعهم درجة، وأعلاهم رتبة، وأجلهم منصباً، وأكرمهم مثوى، وأعزهم منزلة، وأوفاهم قربة، وأفناهم عن أنانيته، وأبقاهم بهويته، وأخلصهم لعبوديته، وأوحدهم بوحدانيته، وأفردهم بفردانيته، وأوليهم بتجلي جماله، وأعظميهم من كشف جلاله، وهو العبد المطلق من بين سائر عباده، والحبيب المختص المخلص من أحبابه، والنبي المفضل على أنبيائه، وهو الحر المعتق عن عبودية الموجودات ورق وجوده، فلهذا سماه الله { بِعَبْدِهِ } عند فناء اسمه ورسمه اسماً ما سُمِي به أحد من خلقه إلا عند بقاء اسمه ورسمه، كما قال

{ **عَبْدَهُ زَكَرِيَّآ** } [مريم: 2] ومن هنا يقول كل نبي يوم القيامة: نفسي نفسي لبقاء وجودهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول: " **أمتي أمتي** " لفناء وجوده في وجوده.

وفي قوله تعالى: { مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَا ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ } [الإسراء: 1] إشارة إلى أن الحكمة في إسرائه إرائته آيات مخصوصة بذاته تعالى تقديراً له وشرفاً ما راءها أحداً من الأولين والآخرين إلا سيد المرسلين وخاتم النبيين، فإنه تبارك وتعالى أرى خليله عليه السلام وهو أعز الخلق عليه بعد حبيبه الملكوت كما قال:

{ **وَكَذَٰلِكَ نُرِيۤ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ** }

[الأنعام: 75] وأرى حبيبه آيات ربه الكبرى، كما قال:

{ **لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ** }

[النجم: 18] ليكون من المحبين المحبوبين.

وفي قوله تعالى: { وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي ٱلْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً } [الإسراء: 4] إشارة إلى أنا أنعمنا على بني إسرائيل بالكتاب لنهدينهم إلى التوحيد، ولكنهم يفسدون في الأرض بقتل الأنبياء كفراناً بنعمتنا، ويبغون العلو في الدنيا { فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ } [الإسراء: 5] ليعذبوكم عذاباً شديداً جزاء كفران النعمة، كما قال:

{**وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**} [إبراهيم: 7] { فَجَاسُواْ خِلاَلَ ٱلدِّيَارِ } [الإسراء: 5] للاستقصاء في القتل والتعذيب للعباد في الظاهر، وجاسوا قهرنا وعذابنا في الباطن خلال قلوبكم لقتل صفاتكم الحميدة واستيلاء نفوسكم الأمارات

بالسوء، ليخربوا بيت قدس قلوبكم ويميتوا أبناء أنبياء إيمانكم وصدقكم ويقينكم { وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً } [الإسراء: 5] في الحكمة الأزلية.

وفي قوله { إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلبَصِيرُ } [الإسراء: 1] إشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم هو السميع الذي " **كنت له سمعاً فبي يسمع وبصرا فبي يبصر** ".

{ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ } [الإسراء: 2] المخصوصة بجمالنا وجلالنا { إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ } [الإسراء: 2] الذي يسمعنا { ٱلْبَصِيرُ } [الإسراء: 2] يبصرنا فإنه لا يسمع كلامنا إلا بنا ولا يبصر جمالنا.

ثم أخبر عن مرتبة كليمه بعد مرتبة حبيبه بقوله: { وَآتَيْنَآ مُوسَى ٱلْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ } [الإسراء: 2] إشارة إلى أن سبب إيتاء التوصية وإنزالها إنما كان هداية ببني إسرائيل { أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً } [الإسراء: 2] أي: ربّاً وإلهاً كما اتخذ قوم نوح؛ وذلك لأنهم { ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ } [الإسراء: 3] فإنهم كانوا مؤمنين لا يشركون بالله شيئاً، فكذلك أردنا أن ذريتهم لا يشركون بالله شيئاً وذلك لأجل { إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً } [الإسراء: 3] أي: كان نوح عليه السلام { عَبْداً شَكُوراً } [الإسراء: 3] فالله تعالى بالغ في ازدياد النعمة جزاء لمبالغته في الشكر حتى أنعم على ذرية من حملهم مع نوح { عَبْداً شَكُوراً } [الإسراء: 3] وهم بنو إسرائيل بإيتاء التوراة الهادية إلى التوحيد وإخراجهم من الشرك.

6

}ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً { 6 } *إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلآخِرَةِ لِيَسُوءُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً{ 7 } * عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً { 8 } *إِنَّ هَذَا ٱلْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً { 9 } *وأَنَّ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً{ 10

{ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ } [الإسراء: 6] باستيلاء داود قلوبكم وقتل جالوت نفوسكم { وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ } [الإسراء: 6] أموال الطاعات والعبادات { وَبَنِينَ } [الإسراء: 6] هي الإيمان والإيقان { وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً } [الإسراء: 6] في العدد والجماعات ممن كان قبلكم الذين أهلكناهم بكفران النعمة، وإنما رددنا الكرة عليهم وأنعمنا عليكم بهذه النعم جزاء الشكورية لنوح.

ثم أخبر عن جزاء أهل الإحسان بقوله تعالى: { إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ } [الإسراء: 7] إشارة إلى أن الإحسان ليس من صفات الإنسان إنما هو من صفات الله تعالى، فإنه المحسن على الحقيقة، فمن أحسن فقد اتصف بصفة من صفات الله ففائدة إحسانه راجعة إلى نفسه؛ لأنها صارت محسنته بعد أن كانت مسيئته { وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا } [الإسراء: 7] لأنها بقيت على صفة إساءتها، بل ازدادت في الإساءة في البعد وعذاب الفراق { فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلآخِرَةِ } [الإسراء: 7] وهي يوم الجزاء { لِيَسُوءُواْ وُجُوهَكُمْ } [الإسراء: 7] وجود قلوبكم بحجب سوء أعمالكم { ٱلْمَسْجِدَ } [الإسراء: 7] بخت نصر النفس لتخريب بيت المقدس وهو القلب المقدس من دنس الكفر { كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ } [الإسراء: 7] عند استيلاء النفس وصفاتها في أوان البلاغة وعنفوان الشباب { وَلِيُتَبِّرُواْ } [الإسراء: 7] أي: وليهلكوا { مَا عَلَوْاْ } [الإسراء: 7] ما غلبوا عليه من أطوار قلوبكم { تَتْبِيراً } [الإسراء: 7]

يليق بها.

{ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ } [الإسراء: 8] بتعزيز نفوسكم وتقوية قلوبكم فضلاً منه وكرماً { وَإِنْ عُدتُّمْ } [الإسراء: 8] إلى الجهل { عُدْنَا } [الإسراء: 8] إلى العدل، بل إلى الفضل، وإن عدتم إلى الندم عدنا إلى الكرم، وإن عدتم إلى النسيان عدنا إلى الغفران وإن عدتم إلى الإقدام على العبودية عدنا إلى الإنعام بالربوبية، وإن عدتم إلى طلب الهداية عدنا إلى اختصاصكم بالعناية، وإن عدتم إلى التقربات عدنا إلى الجذبات { وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ } [الإسراء: 8] البعد والطرد { لِلْكَافِرِينَ } [الإسراء: 8] كافري نعمة القربة والقبول { حَصِيراً } [الإسراء: 8] سحيقاً مخلداً { إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنَ } [الإسراء: 9] أي: هذه الآيات من قوله: { إِنْ أَحْسَنْتُمْ } [الإسراء: 7] إلى قوله: { حَصِيراً } [الإسراء: 8] { يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ } [الإسراء: 9] للوصول؛ لأنها تهدي إلى الخوف والرجاء، وهما خطوتان اللتان بهما يصل السائرون إلى الله، فإن قدم الخوف تهدي إلى الخوف والرجاء وهي الفناء عن الأنانية، وقدم الرجاء تهدي إلى البقاء بالهوية، فافهم جدّاً.

ويؤكد هذا المعنى قوله: { وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّالِحَاتِ } [الإسراء: 9] وهي قطع مفاوز البعد للقائه في الخوف والرجاء { أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً } [الإسراء: 9] وهو إفضاله الكبير المتعال { وأَنَّ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ } [الإسراء: 10] بما وعدهم { بِٱلآخِرَةِ } [الإسراء: 10] أي: بآخرة أعمالهم أيضاً تبشرهم هذه الآيات بوعدها ووعيدها { أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً } [الإسراء: 10] وهو عذاب البعد بعد القرب وعذاب الرد بعد القبول وعذاب السخط بعد الرضا.

11

}وَيَدْعُ ٱلإِنْسَانُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلإِنْسَانُ عَجُولاً { 11 } وَجَعَلْنَا ٱلَّيلَ وَٱلنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ آيَةَ ٱلَّيلِ وَجَعَلْنَآ آيَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً{ 12 } * وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً { 13 } *ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً { 14 } *مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً{ 15

وفي قوله: { وَيَدْعُ ٱلإِنْسَانُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُ بِٱلْخَيْرِ } [الإسراء: 11] إشارة إلى أن من خصوصية الإنسان طلب الدنيا والتلذذ بشهواتها والتفاخر بمالها وجاهها والتمتع بها، وأنه يحب العاجلة ويذر الآجلة، ولهذا قال الله تعالى في وصفه: { وَكَانَ ٱلإِنْسَانُ عَجُولاً } [الإسراء: 11] وهذا كله شر له وهو عجب أنه خير له وهو ملتمس بالدعاء الشر كما يلتمس أهل الوفاء الخير.

ثم قال: { وَجَعَلْنَا ٱلَّيلَ وَٱلنَّهَارَ آيَتَيْنِ } [الإسراء: 12] أي: ليل البشرية وآياتها قمر القلب، ونهار الروحانية وآياتها شمس شهود الحق وهما يدلان على الوصول { فَمَحَوْنَآ آيَةَ ٱلَّيلِ } [الإسراء: 12] أي: ضوء الروح عن قمر القلب فبقى فيه نور العقل.

{ وَجَعَلْنَآ آيَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً } [الإسراء: 12] المعنى أن نور القلب وهو العقل يهدي إلى الشرع، وهو شمس شهود الحق، وإذا طلع الصباح استغنى عن المصباح فإنها مظهرة للحق ومبصرة لها { لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ } [الإسراء:

12] تجلي ذاته وصفاته تبارك وتعالى، وقد اختص الإنسان به دون سائر المخلوقات ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء { وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ } [الإسراء: 12] أي: أيام الطلب وامتدادها عند قطع المنازل { وَٱلْحِسَابَ } [الإسراء: 12] أي: حساب الترقي من مقام إلى مقام { وَكُلَّ شَيْءٍ } [الإسراء: 12] يحتاج إليه السالك { فَصَّلْنَاهُ } [الإسراء: 12] بيناه بالإشارات { تَفْصِيلاً } [الإسراء: 12] تبيناً يبلغ الطالب إلى المطلوب والمحب إلى المحبوب.

ثم أخبر عما قدر للإنسان من الإحسان والخذلان بقوله تعالى: { وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ } [الإسراء: 13] يشير إلى ما طار لكل إنسان في الأزل وتعد بالحكمة الأزلية والإرادة القديمة من السعادة والشقاوة ويجري عليه من الأحكام المقدرة، والأحوال التي جرى بها العلم من الخلق والرزق والأجل، ومن صغائر الأعمال وكبائرها المكتوبة له، وهو بعد في العدم وطائره ينتظر وجوده، فلما أخرج كل إنسان من العدم إلى الوجود وقع طائره في عنقه ملازماً له في حياته ومماته حتى يخرج من قبره يوم القيامة وهو في عنقه، وذلك قوله: { وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً } [الإسراء: 13] أي: ينشر بعدما كان منطوياً، ثم إن كان من أصحاب اليمين أوتي كتابه بيمينه، وإن كان من أصحاب الشمال أوتي كتابه بشماله، أو من وراء ظهره، ويجوز أن يكون هذا الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها نسخة نسخها الكرام الكاتبون بقلم أعماله في صحيفة أنفاسه من الكتاب الطائر في عنقه، ولهذا يقال: { ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ } [الإسراء: 14] أي: كتابك الذي كتبته.

{ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً } [الإسراء: 14] فإن نفسك مرقومة بقلم أعمالك إما برقوم السعادة أو برقوم الشقاوة { مَّنِ ٱهْتَدَىٰ } [الإسراء: 15] إلى الأعمال الصالحات { فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ } [الإسراء: 15] فيرقمها برقوم السعادة { وَمَن

ضَلَّ } [الإسراء: 15] عنها بالأعمال الفاسدة { فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا } [الإسراء: 15] فيرقمها برقوم الشقاوة { وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ } [الإسراء: 15] أي: لا يرقم راقم بقلم أوزاره نفس غيره برقوم الشقاوة.

وبقوله: { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً } [الإسراء: 15] يشير إلى أن الأعمال الصالحة والفاسدة التي ترقم النفس برقوم السعادة والشقاوة لا يكون لها أثر إلا بقبول دعوة الأنبياء أو بردها، فإن السعادة والشقاوة مودعة في أوامر الشريعة ونواهيها.

16

}وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً { 16} *وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرَاً بَصِيراً{ 17 } * مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً { 18} *وَمَنْ أَرَادَ ٱلآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً { 19 } *كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰؤُلاۤءِ وَهَـٰؤُلاۤءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً { 20 } *ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً { 21 } *لاَّ تَجْعَل مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً{ 22

{ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً } [الإسراء: 16] أي: من قرى النفوس { أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا } [الإسراء: 16] وهي النفوس الأمارة بالسوء { فَفَسَقُواْ فِيهَا } [الإسراء: 16] أي: فخرجوا عن قيد الشريعة، ومتابعة الأنبياء بمتابعة الهوى واستيفاء شهوات النفس {

فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ } [الإسراء: 16] أي: فوجب لها الشقاوة بمخالفة الشريعة { فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً } [الإسراء: 16] بإبطال استعداد قبول السعادة إذا صارت النفس مرقومة برقوم الشقاوة والأبدية.

{ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ } [الإسراء: 17] أي: أبطلنا حسن استعدادهم لقبول السعادة برد دعوة الأنبياء { وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ } [الإسراء: 17] إذا لم يقبلوا دعوة الأنبياء { خَبِيرَاً بَصِيراً } [الإسراء: 17] فإنه المقدر في الأزل والمدبر إلى الأبد أسباب سعادة عباده وأسباب شقاوتهم.

ثم أخبر عن أمارة أهل السعادة والشقاوة بقوله تعالى: { مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ } [الإسراء: 18] إشارة إلى أن إرادته إنما كانت العاجلة؛ لأنا عجلنا له هذه الإرادة { فِيهَا } [الإسراء: 18] أي: في الدنيا { مَا نَشَآءُ } [الإسراء: 18] أي: بقدر ما نشاء على مقتضى حكمتنا { لِمَن نُّرِيدُ } [الإسراء: 18] أن يكون من أهل الدنيا ومظهر صفة قهرنا { ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً } [الإسراء: 18] أي: عذبناه بعذاب صفاته الذميمة في جهنم والبعد والقطيعة { مَّدْحُورا } [الإسراء: 18] مطروداً مهيناً ذليلاً.

واعلم أن فيها إشارة إلى أن الله تعالى خلق الإنسان مركباً من الدنيا والآخرة، ولكل جزء منها ميل وإرادة إلى كله ليتغذى منه ويتقوى ويتكمل به، وإن في جزئه الدنيوي وهو النفس طريق إلى دركات النيران، وفي جزئه الأخروي وهو الروح طريق إلى درجات الجنان، وخلق القلب في هذين الجزئين، وله طريق إلى بين إصبعي الرحمن إصبع اللطف وإصبع القهر، فمن يرد الله أن يكون مظهره قهره أزاغ الله قلبه، وحول وجهه إلى الدنيا فيريد العاجلة ويربي بها نفسه إلى أن يبلغه إلى دركات جهنم البعد وتصلى نار القطعية، ومن يرد الله أن يكون مظهر لطفه أقام قلبه وحول وجهه إلى عالم العلو فيريد الآخرة، { وَمَنْ أَرَادَ ٱلآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا

سَعْيَهَا } [الإسراء: 19] وهو الطلب بالصدق { وَهُوَ مُؤْمِنٌ } [الإسراء: 19] بأن طلبه وجده { فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم } [الإسراء: 19] في الوجود { مَّشْكُوراً } [الإسراء: 19] من الموجود في الأزل.

ثم أكد هذا التأويل بقوله: { كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاۤءِ } [الإسراء: 20] يعني: أهل الدنيا بأن نحول وجه قلبه إلى الدنيا وزخارفها إظهاراً للقهر، { وَهَٰؤُلاۤءِ } [الإسراء: 20] يعني: أهل الآخرة بأن نحول وجه قلبه إلى الآخرة ودرجاتها، { مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً } [الإسراء: 20] ممنوعاً من كلا الفريقين.

{ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ } [الإسراء: 21] من أهل الدنيا في النعمة والدولة وموافاة المرادات ليتحقق لك أنها من إمدادنا إياهم

{ وَلَلآخِرَةُ } [الإسراء: 21] يعني: أهل الآخرة

{ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً } [الإسراء: 21] من أهل الدنيا؛ لأن مراتب درجات الأخروية وفضائل أهلها باقية غير متناهية ونعمة الدنيا وفضائل أهلها فانية متناهية، ثم خاطب الله النبي صلى الله عليه وسلم وقطع تعلقه عن الكونين من بين الثقلين،

فقال: { لاَّ تَجْعَل مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهاً آخَرَ } [الإسراء: 22] من الدنيا والآخرة لتعبد الدنيا أن تعبد الآخرة بطلبهما

{ فَتَقْعُدَ } [الإسراء: 22] عن طلبنا { مَذْمُوماً } [الإسراء: 22] في طلب الدنيا { مَّخْذُولاً } في طلب الآخرة.

(وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوۤاْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً } *23 { وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ

ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً { 24 } *رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً { 25 } *وَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً* { 26 } إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوۤاْ إِخْوَانَ ٱلشَّيَاطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً { 27 } *وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً { 28 } *وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً { 29 } *إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً{ 30

ثم شرف أمته بتبعيته بتشريف هذه المرتبة السنية وصرح بخطابهم فقال: { وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوۤاْ إِلاَّ إِيَّاهُ } [الإسراء: 23] أي: لا تعبدوا الدنيا والآخرة إلا الله وإنما قال ربك أراد به النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه مخصوص بالتربية أصالة والأمة تبعاً له في هذا الشأن، وقوله: { وَقَضَىٰ رَبُّكَ } [الإسراء: 23] أي: وحكم ربك وقدَّر في الأزل ألاّ تعبدوا، المخصوصون بالخطاب، إلا الله، فما عبدوا، وحكم أيضاً كما قال: { وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً } [الإسراء: 23] يشير بالوالدين إلى والد الروح ووالد البدن، والإحسان بهما أن تراقبهما في العبودية ليعبدوا كأنهما يريان الله فإن لم يكونا يريان الله فإنه يراهما.

وبقوله: { إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ } [الإسراء: 23] يخاطب القلب ويوصيه بأن يواسي والد الروح عند كبره وهو بلاغه أعلى مراتب القرب، وعجزه عند سطوات تجلي صفات الألوهية، ويداوي والد البدن عند

كبره وهو كبر السن، فلا تنفعهما في الاستعمال عند العجز { وَلاَ تَنْهَرْهُمَا } [الإسراء: 23] عند الاستراحة { وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً } [الإسراء: 23] أي: رفيقاً عند استعمالهما في العبودية.

{ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ } [الإسراء: 24] أي: تتواضع لهما، ولا تتكبر عليهما فإنك أخذت التربية عنهما { وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً } [الإسراء: 24] وذلك لأن القلب طفل يولد بازدواج الروح والبدن، وقد وجدت التربية عنهما صورة ومعنى إلى أن صار قابلاً لتجلي جمال الربوبية وجلالها وصار خليفة الله في أرضه.

ثم قال: { رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ } [الإسراء: 25] من استعداد لأنه دبره فيها { إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ } [الإسراء: 25] مستعدين للخلافة { فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً } [الإسراء: 25] والأوَّاب الراجع من أنانيته إلى هويته بغفوريته يشير إلى أن كل نفس صالحة للخلافة إنما تبلغ محلها بالأنانية، فإن من كان مقيداً بنفسه لا يصلح لخلافة الله.

ثم أخبر عن آداب الخلافة بقوله تعالى: { وَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ } [الإسراء: 26] إشارة إلى أن النفس فإنها من ذوي قربى القلب ولها حق كما قال صلى الله عليه وسلم " **إن لنفسك عليك حقاً** "والمعنى لا يبالغ في رياضة النفس وجهادها؛ لئلا تسأم وتمل أو تضعف عن حمل أعباء الشريعة وحق رعايتها عن الشرف في المأكل والملبوس والأثاث والمسكن وحفظها عن طرفي الإفراط والتفريط صيانة عن التبذير.

كما قال: { وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً } [الإسراء: 26] أي: لا تنفق لهوى النفس وشهواتها

والتذاذها بحظوظها { إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوۤاْ إِخْوَانَ ٱلشَّيَاطِينِ } [الإسراء: 27] أي: أعوانهم في إهلاك أنفسهم ونظراؤهم في كفران النعمة والعصيان.

كما قال: { وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً } [الإسراء: 27] أي: لا يشكر نعمه بامتثال أوامره ونواهيه.

}وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ } [الإسراء: 28] أي: تعرض عن نفق النفس وصفاتها بالكسر والتبديل { ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا } [الإسراء: 28] فإن دواء النفس داؤها وإن داءها دواؤها ورجاء الرحمة في حقها بألاّ يرحمها عند طلب مرادها { فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً } [الإسراء: 28] أي: فعد النفس وصفاتها بوعد لها فيه يسر وراحة لتحمل بالمشقة في تزكيتها { وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ } [الإسراء: 29] في إعطاء بعض حظوظها { مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا } [الإسراء: 29] في إعطاء مراداتها واستيفاء لذاتها { كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ } [الإسراء: 29] عن طريق الطلب والمسير إلى الله { مَلُوماً } [الإسراء: 29] تلوم نفسك حين لا تنفع الملامة إذ تلام يوم القيامة { مَّحْسُوراً } [الإسراء: 29] منقطعاً عن سبيل الله حسيراً عن المسير إليه.

}إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ } [الإسراء: 30] يشير به إلى الخروج عن أوطان البشرية والطبيعة الإنسانية إلى فضاء العبودية بقدمي التوكل على الله وتفويض الأمور إليه، فإن كان يبسط النفس في بعض الأوقات ببعض المرادات ليفرش الحصى ببساط البسط أو يقدر عليها في بعض الأوقات ممتناً بها ليغبط أحوالها بمجامع الفيض فالأمور موكولة إلى بساط حكمته البالغة وأحكامه الأزلية { إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً } [الإسراء: 30] في الأزل فيما حكم وقدر.

}وَلاَ تَقْتُلُوۤاْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً } *31 { وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً } * 32{ وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِٱلحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً } * 33{ وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلاَّ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً }34 * { وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً 35{ } *وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً } *36 { وَلاَ تَمْشِ فِي ٱلأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولاً } * 37{ كُلُّ ذٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً38{

ثم أخبر عن آداب العبودية على وفق أوامر الربوبية بقوله تعالى: { وَلاَ تَقْتُلُوۤاْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ } [الإسراء: 31] إلى هذا الموضع وهو عشر آيات إشارة إلى تبديل عشر خصال مذمومة بعشر خصال محمودة.

أما المذمومات:

فأولها: البخل، وثانيها: الأمل، وهما في قوله تعالى: { وَلاَ تَقْتُلُوۤاْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ } [الإسراء: 31] فإن البخل وطول الأمل حملهما على قتل أولادهم فدلهم على تبديلهما بالسخاء والتوكل بقوله تعالى: { نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً } [الإسراء: 31].

وثالثهما: الشهوة، وهي في قوله: { وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً } [الإسراء: 32] فإن غلبة الشهوة يورث الزنا فبدلهما بالعفة حين نهاهم عن الزنا.

ورابعها: الغضب، وهو في قوله: { وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِٱلحَقِّ } [الإسراء: 33] فإن استيلاء الغضب يورث القتل بغير الحق فبدله بالحلم في قوله: { وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً } [الإسراء: 33].

وخامسها: الإسراف، وهو في قوله: { فَلاَ يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً } [الإسراء: 33] فإن الإفراط في كل شيء يورث الإسراف فبدله بالقوام.

وسادسها: الحرص، وهو في قوله: { وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ } [الإسراء: 34] فإن التصرف في مال اليتيم من الحرص فبدله بالقناعة بقوله: { إِلاَّ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ } [الإسراء: 34].

وسابعها: نقض العهد فبدله بالوفاء بقوله: { وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً } [الإسراء: 34].

وثامنها: الخيانة، فبدلها بالأمانة { وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً } [الإسراء: 35].

وتاسعها: الظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه باستعمال الجوارح والأعضاء على خلاف ما أمره وذلك في قوله: { وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ } [الإسراء: 36] فبدله بالعدل بقوله: { إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً } [الإسراء: 36]

- فظلم السمع، باستعماله في استماع الغيبة واللغو، والرفث والبهتان والقذف والملاهي والفواحش،
  - وعدله استعماله في استماع القرآن والأخبار والعلوم والحكم والمواعظ والنصيحة والمعروف وقول الحق،

- وظلم البصر، النظر إلى المحرمات والشهوات وإلى من فوقه في دنياه وإلى متاع الدنيا وزينتها وزخارفها،
  - وعدله النظر في القرآن والعلوم وإلى وجه العلماء والصلحاء، { **فَٱنظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ** } [الروم: 50] وإلى الأشياء بنظر الاعتبار، وإلى من دونه في دنياه، وإلى من فوقه في دينه،
- وظلم الفؤاد قبول الحقد والحسد والعداوة وحب الدنيا والتعلق بما سوى الله،
  - وعدله تصفيته عن هذه الأوصاف الذميمة وتحليته بالأوصاف الحميدة وتبديل هذه الصفات والتخلق بأخلاق الله.

وعاشرها: الكبر وهو في قوله: { وَلاَ تَمْشِ فِي ٱلأَرْضِ مَرَحاً } [الإسراء: 37] فإن المشية بالخيلاء من الكبر فبدله بالتواضع بقوله: { إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولاً } [الإسراء: 37] أي: من الكبر فألزمه التواضع.

ثم قال: { كُلُّ ذٰلِكَ } [الإسراء: 38] أي: الخطاب الخصال العشر التي ذكرنا في هذه الآيات العشر { كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً } [الإسراء: 38] أي: مانعاً من العباد أن يصلوا إلى مقام العندية

{ **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ** } [القمر: 55].

39

}ذَلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً{ 39 } * أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ

وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلاۤئِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً{ 40} * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً { 41 } *قُلْ لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِي ٱلْعَرْشِ سَبِيلاً42 { } *سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً { 43} *تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـٰكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً{ 43

وقال: { ذَلِكَ } [الإسراء: 39] أي: الذي ذكرنا من الآيات { مِمَّآ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ } [الإسراء: 39] المودعة فيها كما قدرنا بعضها، { وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً آخَرَ } [الإسراء: 39] أي: لا تنظر إلى هذه المانعات بنظر الهوى فيتعلق بشيء فيها يقطعك عن الله { فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ } [الإسراء: 39] البعد { مَلُوماً } [الإسراء: 39] بكل لسان { مَّدْحُوراً } [الإسراء: 39] ومبعداً عن سعادة الأبد.

ثم أخبر عن خسارة الإنسان وخسارته بقوله تعالى: { أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلاۤئِكَةِ إِنَاثاً } [الإسراء: 40] يشير إلى كمال ظلومية الإنسان وكمال جهوليته، أما كمال ظلوميته فبأنهم ظنوا بالله سبحانه أنه من جنس الحيوانات التي من خاصيتها التوالد، ومن كمال جهولية الإنسان بأنهم لم يعلموا أن الحاجة إلى التوالد لبقاء الجنس، فإن الله تعالى باقٍ أبدي لا يحتاج إلى التوالد لبقاء الجنس، ولم يعلموا أن الله منزه عن الجنس وليس الملائكة من جنسه، فإنه خالق أزلي أبدي وأن الملائكة هم المخلوقون، ومن كمال الظلومية والجهولية أنهم حسبوا أن الله تعالى إنما أصفاهم بالبنين واختار لنفسه البنات لجهله بشرف البنين

على البنات فلهذا قال: { إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً } [الإسراء: 40] أي: قولاً ينبئ عن عظم أمر ظلوميتكم وجهوليتكم.

ثم قال: { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ } [الإسراء: 41] أي: بالحكم والمواعظ والرموز والإشارات والدقائق والحقائق والترغيب والتشويق والتحبيب { لِيَذَّكَّرُواْ } [الإسراء: 41] أي: ليذكروا يوم الميثاق والإنفاق على الوفاق { وَمَا يَزِيدُهُمْ } [الإسراء: 41] الظلومية والجهولية { إِلاَّ نُفُوراً } [الإسراء: 41] عن حظائر قدسنا ومجالس أنسنا.

وبقوله: { قُلْ لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ } [الإسراء: 42] يشير إلى أن الآلهة لا يخلو أمرهم إما كانوا أكبر منه أو كانوا أمثاله أو كانوا أدون منه فإن كانوا أكبر منه { إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِي ٱلْعَرْشِ سَبِيلاً } [الإسراء: 42] أي: طلبوا طريقاً إلى إزعاج صاحب العرش ونزع الملك منه قهراً أو غلبة ليكون لهم الملك لا له كما هو المعتاد من الملوك، وإن كانوا أمثاله لم يرضوا بأن يكون الملك لواحد مثلهم وهم جماعة معزولون عن الملك فأيضاً نازعوه في الملك، وإن كانوا أدون منه فالناقص لا يصلح للإلهية إذا لابتغوا إلى ذي العرش الكامل في الألوهية سبيلاً للخدمة والعبودية والقربة.

ثم قال: { سُبْحَانَهُ } [الإسراء: 43] أي: تنزيهاً أن يكون له غالب يمنعه أو مثل ينازعه { وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً } [الإسراء: 43] أي: هو أكبر وأعظم مما يظنون به ويتوقعون منه ومن عظمته.

{ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ } [الإسراء: 44] أي: تتنزه عما

يقولون وعن كل نقيصة ذرات المكونات، وإجراء المخلوقات لمن له روح فبلسانه ولغته وهذا مما لا يفقهه العقلاء، وأما الجمادات فبلسان الملكوتي كما قال: { وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ } [الإسراء: 44] أي: بحمده على نعمة الإيجاد والتربية { وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ } [الإسراء: 44].

واعلم أن الله تعالى أثبت لكل ذرة من ذرات الموجودات ملكوتاً بقوله:

}فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ]{ يس: 83] والملكوت باطن الكون وهو الآخرة والآخرة حيوان لا جماد كقوله: }وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ]{ العنكبوت: 64] فأثبت بهذا الدليل لكل ذرة من ذرات الموجودات لساناً ملكوتياً ناطقاً بالتسبيح والحمد تنزيهاً لصانعه وقادره وحمداً له على ما أولاه من نعمة، وبهذا اللسان نطق الحصى في يد النبي صلى الله عليه وسلم، وبهذا تنطق الأرض يوم القيامة.

وكما قال تعالى: }يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا]{ الزلزلة: 4] وبهذا اللسان نطق الحصى وتشهد أجزاء الإنسان وأبعاضه عليه يوم القيامة وبقوله: }أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ]{ فصلت: 21] وبهذا اللسان نطقت السماوات والأرض حين }قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ]{ فصلت: 11] فافهم جدّاً واغتنم.

ثم قال: { إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً } [الإسراء: 44] أي: في الأزل إذ أخرج من العدم مَن يتولد منه أن يتخذ مع الله آلهة أخرى { غَفُوراً } [الإسراء: 44] لمن تاب عن مثل هذه المقالات.

45

}وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً { 45 } *وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيۤ ءَاذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَىٰ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُوراً46 { } *نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً { 47 } *ٱنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً 48{

ثم أخبر عن إعجاز القرآن بالبرهان بقوله تعالى: { وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً } [الإسراء: 45] يشير إلى أن من قرأ القرآن حق قراءته ارتقى إلى أعلى المراتب كما قال صلى الله عليه وسلم: " **يقال – يعني: لصاحب القرآن – اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها** ".

قال أبو سليمان الخطابي: " جاء في الأثر أن عدد أي القرآن على عدد درج الجنة فمن استوفى جميع آي القرآن استولى على أقصى درج الجنة ".

قلت: واستيفاء جميع آي القرآن في الحقيقة هو التخلق بأخلاق القرآن، فالقرآن من أخلاق الله وصفاته والمتخلق بأخلاقه يكون متخلقاً بأخلاق الله، وهذا يكون بعد العبور عن حجب الظلماني والنوراني متمكناً

{ **فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ** } [القمر: 55] فهو الذي جعل بينه وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً.

وإنما قال: { حِجَاباً مَّسْتُوراً } [الإسراء: 45] ولم يقل ساتراً؛ لأن الحجاب يستر الواصل عن المنقطع ولا يستر المنقطع عن الواصل فيكون الواصل بالحجاب

مستوراً عن المنقطع، والله أعلم.

وفي قوله: { وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَىٰ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُوراً } [الإسراء: 46] إشارة إلى انحراف مزاج قلوب أهل الشرك وحصول المرض فيها وإزالة الصحة والسلامة عنها إذ يتفرقون عند استماع ذكر الواحد الأحد بالوحدانية والوحدة ولا يجدون حلاوة التوحيد؛ بل يجدون فيه المرارة لسوء المزاج.

{ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ } [الإسراء: 47] لأنا خلقناهم مستعدين لذلك كقوله:

{ **أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ** } [الملك: 14] وأنهم يستمعون بالهوى فيسمعون الأساطير والسحر والشعر، ولو استمعوا بالله لاستمعوا كلام الله وصفاته { إِذْ يَقُولُ ٱلظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً } [الإسراء: 47].

49

}وَقَالُوۤاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً { 49 } *قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً { 50 } *أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيباً { 51 } *يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً { 52 }*وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً { 53 } *رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً54 { } *وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّينَ

عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً { 55 } *قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً { 56 } *أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً { 57 } *وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذٰلِك فِي ٱلْكِتَابِ مَسْطُوراً{ 58

فمن ظلمهم وصفوا اسم المسحور موضع المبعوث { ٱنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلأَمْثَالَ } [الإسراء: 48] بالسحر والشعر { فَضَلُّواْ } عن طريق العقبى.

فلما كان حال البلوغ إلى بيته بقوله: { **لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ ٱلأَنفُسِ** } [النحل: 7] فكيف يكون حال أهل الوصول إليه، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: " **ما أوذي نبي مثل ما أوذيت** " فلما لم يصل أحد مقامه الذي وصل ما أوذي أحد في السير إلى الله والسير في الله والسير بالله مثل ما أوذي النبي صلى الله عليه وسلم، وإيذاء السائرين بإذابة وجودهم في السير ففي السير إلى الله ذوبان الأفعال، وفي السير في الله ذوبان الصفات، وفي السير بالله ذوبان الذات، فافهم جدّاً.

59

}وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً { 59 } *وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً

كَبِيراً { 60} *وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاۤئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لأَدَمَ فَسَجَدُواْ إَلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً{ 61

ثم أخبر عن آيات إرساله الآيات بقوله تعالى: { وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلأَوَّلُونَ } [الإسراء: 59] يشير إلى اختصاص هذه الأمة بالرحمة والعناية كرامة لوجه حبيبه ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك أن الأمم السالفة مثل ثمود وغيرها لما التمست الآيات من أنبيائهم فأرسل الله بها، ثم لم يؤمنوا وجحدوا أنها من عند الله كما قال: { وَآتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً } [الإسراء: 59] ليؤمنوا فلم يؤمنوا بها وعقروها وكذبوا، جرت سنة الله على ألا يهلكهم ويعذبهم ويأخذهم نكال الآخرة والأولى، فلما التمست قريش من النبي الآيات مثل أن يجعل الله لهم الضفادع وغيرها.
كما قال تعالى: { وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلآيَاتِ } [الإسراء: 59] أي: وما منعنا الرحمة السابقة غضباً في الأزل أن نسعف ملتمسهم إلا أنا علمنا أنهم لا يؤمنون بها ولا يكذبون بها كما { كَذَّبَ بِهَا ٱلأَوَّلُونَ } [الإسراء: 59] فيقضي السنة التي لا تبديل لها أن تهلك أمتك كما أهلكنا الأولين، وقد سبقت لأمتك منا كرامة لك ألا نعذبهم وأنت فيهم.
{ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ } [الإسراء: 60] أي: أحاط بما في نفوس الناس من الخير والشر علماً فيعلم ما هو مقتضى كل نفس ولهذا قال: { وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً } [الإسراء: 60] ولا يزيدهم التخويف إلا الطغيان؛ لأنه تعالى كان عالماً بحال نفوس أهل الشقاوة، منهم أنه صلى الله عليه وسلم إذا قص رؤياه عليهم أنهم يكذبونه، فجوَّز هذا التكذيب في حقهم؛ لأنه لم يكن بعد

إرساله آية ملتمسة موجبة لهلاكهم ولم يجوِّزهم التكذيب بعد إرسال الآية الملتمسة الموجبة لهلاكهم فضلاً منه ورحمة.

ثم أخبر عن فضل آدم على الملائكة بوجوب السجود بقوله تعالى: { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لأَدَمَ فَسَجَدُواْ } [الإسراء: 61] إشارة إلى أن آدم عليه السلام كان مستحقاً لسجود الملائكة؛ وذلك لأنه تعالى خلق آدم فتجلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم وكانت السجدة في الحقيقة للحق تعالى، وكان آدم عليه السلام بمثابة الكعبة قبلة السجود فتسجد الملائكة لاستعداد ائتمارهم بأوامر الحق وانتهائهم عن نواهي الحق، كقوله تعالى:

{ **لاَّ يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** } [التحريم: 6] فدل الائتمار بأوامر الحق والانتهاء عن نواهيه عن السعادة الأزلية { إَلاَّ إِبْلِيسَ } [الإسراء: 61] فإنه

{ **أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ** } [البقرة: 34] فدلت المخالفة والإباء على الشقاوة الأزلية، ومن شقاوة إبليس { قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً } [الإسراء: 61] اعتراضاً وعجباً ونكراً وإنكاراً فاستحق اللعن والطرد والبعد.

62

}قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً { 62} *قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُوراً{ 63 } * وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلأَمْوَالِ وَٱلأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً { 64 } *إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ

عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً { 65 } *رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزْجِي لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِي ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً66{

قال إبليس بعدها لُعن وطُرد وبعد إظهار العداوة وانتقاماً للحقد وإقداماً على الحسد { قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ } [الإسراء: 62] وفضلته بالخلافة والسجود { لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ } [الإسراء: 62] يعني: على صفة الإغواء والإضلال { لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ } [الإسراء: 62] لأستولين على الأولاد بالإغواء، كما قال: { **فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** }

[ص: 82] { إِلاَّ قَلِيلاً } [الإسراء: 62] يعني: من عبادك المخلصين.

{ قَالَ ٱذْهَبْ } [الإسراء: 63] يعني: على طريقك السوء في الإغواء والإضلال { فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ } [الإسراء: 63] على الضلالة { فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُوراً } [الإسراء: 63] مكملاً.

{ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ } [الإسراء: 64] أي: بتمويهات الفلاسفة وشبهات أهل الأهواء والبدع، وطامات الإباحية، وما يناسبها من مقالات أهل الطبيعة مخالفاً للشريعة { وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ } [الإسراء: 64] وهو كل راكب يركب الهوى، ويقال الدنيا { وَرَجِلِكَ } [الإسراء: 64] وهو كل ماشٍ حريص على الدنيا وشهواتها طالب للذاتها { وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلأَمْوَالِ } بتحصيلها من غير وجه بإسراف النفس وإنفاقها أو ممسكاً لها بالبخل لإتلاف الأولاد { وَٱلأَوْلادِ } بتضييع زمانهم وإفساد استعدادهم في طلب الدنيا ورئاستها متغافلاً عن تهذيب نفوسهم وتزكيتهم أو تأديبها وتوفيها عن الصفات المذمومة وتحليتها بالصفات المحمودة، وتعلمهم الفرائض والسنن والعلوم الدينية، وتحرضهم على طلب الآخرة والدرجات العلى، والنجاة من النار والدركات السفلى، { وَعِدْهُمْ } نيل المقصد الأعلى في

الآخرة والأولى على البطالة وإتيان الهوى، { وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَانُ } بكرم الله وعفوه وغفرانه للذنوب والمعاصي من غير توبة وإنابة { إِلاَّ غُرُوراً } [الإسراء: 64] كما قال تعالى:

{ وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ } [لقمان: 33] أي الشيطان.

وفي قوله: { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ } [الإسراء: 65] إشارة إلى أن عباد الله هم الأحرار عن رق الكونين وتعلقات الدارين فلا يستعبدهم الشيطان، فلا يقدر أن يتعلق بهم فيضلهم عن طريق الحق ويغويهم بما سواه { وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً } [الإسراء: 65] لهم في ترتيب أسباب سعادتهم وتفويت أسباب شقاوتهم والحراسة عن الشيطان والهداية إلى الرحمن.

ثم أخبر عن أصناف ألطافه وأوصاف أعطافه بقوله تعالى: { رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزْجِي لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِي ٱلْبَحْرِ } [الإسراء: 66] يشير إلى فلك الشريعة يجريه في بحر الحقيقة، المعنى إن لم يكن فلك الشريعة ما تيسر لأحد العبور على بحر الحقيقة.

{ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ } [الإسراء: 66] وهو جذبة العناية

{ ذَلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ } [الحديد: 21] يشير إلى أن جذبة العناية ليست بمكتسبة للخلق؛ بل هي من قبيل الفضل لقوله تعالى: { إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ } [الإسراء: 66] في الأزل { رَحِيماً } [الإسراء: 66] فضلاً منه وكرماً.

67

}وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلْضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلإِنْسَانُ كَفُوراً { 67 } *أَفَأَمِنْتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً { 68 } *أَمْ

أَمِنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً{ 69

{ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلْضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ } [الإسراء: 67] يعني: خلل في فلك الشريعة وخوفاً من الغرق { ضَلَّ مَن تَدْعُونَ } [الإسراء: 67] أي: بطل كل تدبير مدبر لنجاتكم { إِلاَّ إِيَّاهُ } [الإسراء: 67] أي: إلا الله.

{ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ } [الإسراء: 67] وحسبتم الوصول إلى ساحل الوصال، حُجبتم بحجاب الحسنات وحُجُب الوجدان { أَعْرَضْتُمْ } [الإسراء: 67] عن الحق بالكفر، وأدبرتم بالخذلان ورجعتم بالخسران كما قال الجنيد: لو أقبل صديق على الله ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة فإن ما فاته أكثر مما ناله، وخسران الإنسان في الخذلان والخذلان من نتائج الكفران كما قال تعالى: { وَكَانَ ٱلإِنْسَانُ كَفُوراً } [الإسراء: 67].

وبقوله: { أَفَأَمِنْتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ } [الإسراء: 68] يشير إلى أهل السكون من ساكني بر البشرية أي: يا من سكنتم بر البشرية ولم تركبوا فلك الشريعة لتعبروا بحر الروحانية أفأمنتم أن يخسف بكم مذمومات صفات البشرية ولم تركبوا فلك الشريعة لتعبروا { أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً } [الإسراء: 68] أي: يمطر عليكم حصباء القهر { ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً } [الإسراء: 68] يمنعكم من إصابة حصب قهرنا.

ثم قال: { أَمْ أَمِنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ } بالماء { فِيهِ } في البحر { تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِّنَ ٱلرِّيحِ } [الإسراء: 69] أي: كاسراً من ريح البلاء لفلك الشريعة { فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ } [الإسراء: 69] من كفران النعمة { ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً } [الإسراء: 69] يمنع عنكم سطوات قهرنا.

}وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً { 70 } *يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَـٰئِكَ يَقْرَؤونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً { 71 } *وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً { 72 } *وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِي أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً {73 } *وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً{ 74 } * إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَاةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً{ 75

ثم أخبر عن بني آدم وحاله من الكرامة وما عليه من الغرامة بقوله تعالى: { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ } [الإسراء: 70] أي خصصناهم بكرامة تخرجهم عن حيز الإشراك وهي على ضربين: جسدانية، وروحانية.

* فالكرامة الجسدانية: عامة يستوي فيها المؤمن والكافر وهي تخمير طينته بيده أربعين صباحاً، وتصويره في الرحم بنفسه، وأنه تعالى صوره فأحسن صورته وسواه فعدله في أي: صورة ما شاء ركبه، ومشاه سوياً على صراط مستقيم القامة آخذاً بيديه آكلاً بأصابعه مزيناً باللحى والذوائب صانعاً بأنواع الحرف.

* والكرامة الروحانية: على ضربين: عامة، وخاصة.

فالعامة: أيضاً يستوي فيها المؤمن والكافر وهي أن كرمه بنفخه فيه من روحه وعلمه الأسماء كلها، وكلمه قبل أن خلقه بقوله: { **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ** } [الأعراف:

172] فأسمعه خطابه وأنطقه بجوابه بقوله: { قَالُواْ بَلَىٰ } [الأعراف: 172] وعاهده على العبودية، وأولده على الفطرة، وأرسل إليه الرسل وأنزل عليه الكتب ودعاه إلى الحضرة، ووعده الجنة وخوَّفه النار، وأظهر له الآيات والدلالات والمعجزات.

والكرامة الروحانية الخاصة: ما كرم به أنبياءه وأولياءه وعباده المؤمنين من النبوة والرسالة والولاية والإيمان للإسلام والهداية إلى الصراط المستقيم، وهو صراط الله والسير إلى الله وفي الله وبالله عند العبور على المقامات والترقي من الناسوتية بجذبات اللاهوتية، والتخلق بأخلاق الإلهية عند فناء الأنانية وبقاء الهوية.

كما قال تعالى: { وَحَمَلْنَاهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ } [الإسراء: 70] أي: عبرنا بهم عن بر الجسمانية وبحر الروحانية إلى ساحل الربانية { وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ ٱلطَّيِّبَاتِ } [الإسراء: 70] وهي المواهب التي طيبها من الحدوث فيطعم بها من يبيت عنده ويسقيه بها، وهي طعام المشاهدات وشراب المكاشفات التي لم يذق منها الملائكة المقربون، أطعم بها أخص عباده في أواني المعرفة، وسقاهم بها في كاسات المحبة أفردهم بها عن العالمين؛ ولهذا أسجد لهم الملائكة المقربين.

وقال تعالى: { وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً } [الإسراء: 70] يعني: على الملائكة؛ لأنهم الخلق الكثير من خلق الله تعالى، وفضل الإنسان الكامل على الملك بأنه خلقه في أحسن تقويم وهو حسن استعداده في قبول فيض نور الله بلا واسطة، وقد تفرد به الإنسان عن سائر المخلوقات.

كما قال تعالى:

{ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ } [الأحزاب: 72]

أي: على أهلها { **فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلإِنْسَانُ** } [الأحزاب: 72] الأمانة هي نور الله كما صرح به في قوله:

{ **ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ** } [النور: 35] إلى أن قال:

{ **نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ** } [النور: 35] فافهم جدّاً واغتنم فإن هذا البيان أعز من الكبريت الأحمر وأغرب من عنقاء مغرب.

ثم أخبر عن المقبولين منهم والمردودين بقوله تعالى: { يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ } [الإسراء: 71] يشير إلى ما يتبعه كل قوم وهو إمامهم، فقوم: يتبعون الدنيا وزينتها وشهواتها فيدعون يا أهل الدنيا، وقوم: يتبعون الآخرة ونعيمها ودرجاتها فيدعون: " يا أهل الآخرة " ، وقوم: يتبعون الرسول صلى الله عليه وسلم محبة لله وطلباً لقربته ومعرفته فيدعون: " يا أهل الله " { فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ } [الإسراء: 71] فهو أهل السعادة من أصحاب اليمين فيه إشارة إلى أن السابقين الذين هم أهل الله لا يؤتون كتابهم كما لا يحاسبون حسابهم.

ثم قال: { فَأُوْلَـٰئِكَ يَقْرَؤونَ كِتَابَهُمْ } [الإسراء: 71] لأنهم أصحاب البصيرة والقرآن والدراية { وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً } [الإسراء: 71] في جزاء أعمالهم الصالحة فيه إشارة إلى أن أهل الشقاوة الذين هم أصحاب الشمال لا يقرءون كتابهم؛ لأنهم أصحاب العمى والجهالة { وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ } [الإسراء: 72] أي: في هذه القراءة والدراية بالبصيرة { أَعْمَىٰ } [الإسراء: 72] في الدنيا لقوله:

{**فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى ٱلأَبْصَارُ وَلَـٰكِن تَعْمَىٰ ٱلْقُلُوبُ**} [الحج: 46] { فَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ أَعْمَىٰ } [الإسراء: 72] لأنها {**يَوْمَ تُبْلَىٰ ٱلسَّرَآئِرُ**}

]الطارق: 9] فيجعل الوجوه من السرائر فمن كان في سريرته أعمى هاهنا يكون في صورته أعمى للمبالغة؛ لأن عمل السريرة هاهنا كان قابلاً للتدارك.

وقد خرج ثمة الأمر من التدارك فيكون الأعمى عن رؤية الحق { وَأَضَلُّ سَبِيلاً } [الإسراء: 72] في الوصول إليه لفساد الاستعداد وإعواز التدارك.

ثم قال: { وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ } [الإسراء: 73] أي: من عمى قلوبهم كادوا ليسترونك { عَنِ ٱلَّذِي أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ } [الإسراء: 73] بالتغيير والتبديل { لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ } [الإسراء: 73] أي: وفق طباعهم في الضلالة وميلان نفوسهم إلى الدنيا وهي الضلالة عن الهدى { وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً } [الإسراء: 73] إذ وافقتهم في الضلالة { وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ } [الإسراء: 74] بالقول الثابت وهو قول: لا إله إلا الله إلى أن بلغناك مقام معرفة حقيقة لا إله إلا الله بقولنا:

{فَٱعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ ٱللَّهُ} [محمد: 19] وطهرنا قلبك من لوث صفات البشرية { لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ } بها إن لم يطهرك عنها بقولنا:

{وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ} [محمد: 19] { شَيْئاً قَلِيلاً } وإنما سماه قليلاً؛ لأن روحانية النبي صلى الله عليه وسلم كانت في أصل الخلقة غالبة على بشريته مؤيدة بتأييد " :**أول ما خلق الله روحي** " إذ لم يكن مع روحه { شَيْئاً قَلِيلاً } ما يحجبه عن الله فشرفه بتشريف "**كنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين** " فمعنى الكلام: لولا التثبيت وقوة النبوة ونور الهداية وأثر نظر العناية، لكنت تركن إلى أهل الأهواء بهوى النفسانية بمنافع الإنسانية قدراً يسيراً لغلبة الروحانية وخمود نار البشرية.

ثم قال: { إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَاةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ } [الإسراء: 75] يعني: بشؤم ميل نفسك إلى الباطل ورغبتها عن الخلق نحي نفسك، وأذقناك عذاب

حياتها واستيلائها وغلبتها على روحك ونميت قلبك، وأذقناك عذاب مماته وضعف روحك وعجزه وبعده عن الحق { ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً } [الإسراء: 75] يمنع عذابنا منك.

76

**}وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً { 76 } *سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً{ 77 } * أَقِمِ ٱلصَّلاَةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيلِ وَقُرْآنَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً { 78 } *وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً {
79 } *وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنْكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً{ 80**

وفي قوله تعالى: { وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً * سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا } [الإسراء: 76-77] إشارة إلى أن من سنة الله تعالى على قانون الحكمة القديمة البالغة في تربية الأنبياء والمرسلين، أن يجعل لهم أعداء ليبتليهم بهم في إخلاص إبريز جواهرهم الروحانية الربانية عن غش أوصافهم النفسانية الحيوانية.
كما قال تعالى:
{ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ ٱلإِنْسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ } [الأنعام: 112]

ثم قال: { وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً } [الإسراء: 77] أي: تبديلاً؛ لأنها مبنية على الحكمة والمصلحة والإرادة القديمة.

ثم أخبر عن طريق خلاص الأنبياء والأولياء ورطة الابتلاء بقوله تعالى: { أَقِمِ ٱلصَّلاَةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ } [الإسراء: 78] يشير إلى إدامة الصلاة بالقرب الحاضر من دلوك الشمس وهو طول النهار { إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيلِ } [الإسراء: 78] وهو طول الليل { وَقُرْآنَ ٱلْفَجْرِ } [الإسراء: 78] أي: إلى صلاة الفجر يريد استدامة الليل والنهار بالحضور والتناجي مع الله، وهذه صلاة أخص الخواص الذين هم في صلاتهم دائمون.

ثم قال: { إِنَّ قُرْآنَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً } [الإسراء: 78] يعني: من مراقب ليله ونهاره حاضراً بقلبه مع الله يكون له عند الصباح شهود الشواهد الحق، بل الحق مشهود له.

ثم خص النبي صلى الله عليه وسلم من أمته وسائر الأنبياء والرسل بزيادة فضيلة ينالها في إدامة الصلاة وصرح له صلاة الليل، فقال: { وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ } [الإسراء: 79] أي: زيادة لك من دون سائر الخلق هذه الفضيلة، وهي قوله: { عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً } [الإسراء: 79] والمحمود هو الله تعالى فيشير المقام المحمود إلى قيامة بالله لا بنفسه، ولهذا عبر عن المقام المحمود بالشفاعة؛ لأن الله تعالى قال:

{ **مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** } [البقرة: 255] أي: قائماً به ولما لم يكن دخول هذا المقام بكسب العبد كسائر المقامان وهو يتعلق بجذبة الحق فعلم النبي صلى الله عليه وسلم طريق تحصيل الجذبة على مقتضى قوله:

{ **ٱدْعُونِيۤ أَسْتَجِبْ لَكُمْ** } [غافر: 60].

بقوله: { وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ } [الإسراء: 80] يشير إلى السير في الله

بالله { وَأَخْرِجْنِي } [الإسراء: 80] من حولي وقوتي وأنانيتي { مُخْرَجَ صِدْقٍ } [الإسراء: 80] بأن يخرجني منك بك { وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنْكَ } [الإسراء: 80] أي: منك لا من غيرك { سُلْطَاناً نَّصِيراً } [الإسراء: 80] بتجلي صفات جمالك، وفي الآية دليل على أن لكل ذي مقام لا يصل إلى مقام إلا بسعي ملائم لذلك، كما قال تعالى:

{ **وَمَنْ أَرَادَ ٱلآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا** } [الإسراء: 19] أي: سعياً يلائم وصول درجات الجنان.

وروي أن " **رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فعرض حاجة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " ما تريد " فقال: " مرافقتك في الجنة " ، فقال صلى الله عليه وسلم: " أو غير ذلك " قال الرجل: " بل مرافقتك في الجنة " ، فقال: النبي صلى الله عليه وسلم: " فأعني بكثرة السجود " ".**

81

}وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ إِنَّ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً { 81 } *وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ ٱلظَّالِمِينَ إِلاَّ خَسَاراً { 82 } *وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَئُوساً { 83 } *قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً { 84 } *وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً85 { } *وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً { 86 } *إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً{ 87

ثم أخبر عن زهوق صفات البشرية عند تجلي صفات الربوبية بقوله تعالى: { وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ } [الإسراء: 81] يشير إلى كل ما يجيء من الحق تعالى من الواردات والطوالع والشواهد والأنوار وتجلي صفات الجمال وتجلي صفات الجلال.

وبقوله: { وَزَهَقَ ٱلْبَاطِلُ } [الإسراء: 81] يشير إلى كل ما يكون من الخواطر والتفكر والتعقل، والأوصاف والأخلاق والذوات، فإن في مجيء كل واحد مما من الحق زهوق واحد مما من الخلق { إِنَّ ٱلْبَاطِلَ } [الإسراء: 81] وكل ما خلا الله { كَانَ زَهُوقاً } [الإسراء: 81] زائلاً، يدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم: " إن أصدق ما قالته العرب قول لبيد:

ألا كلُّ ما خلا الله باطلُ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلُ

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: " **بل نعيم الجنة فإنه لا يزول** ".

وبقوله: { وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ } [الإسراء: 82] يشير إلى أن كلام الحبيب شفاء القلوب كما قيل: إن الأحاديث من سلمى تسليني، وإن من القرآن ما هو إيعاد بالوصلة والوصال، فهو شفاء لمعلول الهجر والفراق، وأين المدامة من ريقها؛ ولكن أعلل قلباً عليلاً، قال موسى عليه السلام وهو معلوم القرآن، وكان يرى بشفائه في الوصال، فقال:

{ **أَرِنِيۤ أَنظُرْ إِلَيْكَ** } [الأعراف: 143] فكان الله تعالى يشفيه بكلامه فقال له:

{ **إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَآ آتَيْتُكَ** }

[الأعراف: 144] فإن فيه تسكين ثائرة شوقك في الحال

{ **وَكُنْ مِّنَ ٱلشَّاكِرِينَ** } [الأعراف: 144] لا يزيد في نعمة اللقاء في المآل

{ **فَلاَ تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِ** } [السجدة: 23].

وأما حال الحبيب نبينا صلى الله عليه وسلم فهو المحبوب المجذوب غريق ببحر الوصال، وقد شفي قيل أن يستشفى، فقيل له:

{ **أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ** } [الفرقان: 45] { وَرَحْمَةٌ } [الإسراء: 82] له و { لِّلْمُؤْمِنِينَ } [الإسراء: 82] إذا أرسله الله رحمة للعالمين { وَلاَ يَزِيدُ ٱلظَّالِمِينَ } [الإسراء: 82] منكري أرباب حقائق القرآن وأسراه { إَلاَّ خَسَاراً } [الإسراء: 82] بأن يخسروا الإيمان التقليدي بالإنكار على أهل الإيمان الحقيقي، بل على أهل العناية { وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلإنْسَانِ } [الإسراء: 83] بالإيمان التقليدي { أَعْرَضَ } [الإسراء: 83] عن أهل الحق وأرباب الحقائق { وَنَأَى بِجَانِبِهِ } [الإسراء: 83] تعظيماً لنفسه وتباعداً من أهل الحق مستأنفاً للاقتداء بهم.

{ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ } [الإسراء: 83] بشبهة في الدين من كلمات أهل الأهواء والبدع { كَانَ يَئُوساً } [الإسراء: 83] يقنط عن إيمانه بأدنى شك داخله في دينه.

{ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ } [الإسراء: 84] وهي ما خلق عليه من درجات السعادة كالمؤمنين الموحدين قابلي كمالات الدين من حقائق القرآن والتخلق بأخلاقه، ومن دركات الشقاوة كالمنافقين المشركين منكري حقائق القرآن وأربابها { فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً } [الإسراء: 84] إلى الحق الحقيقة.

ثم أخبر عن الروح الذي به كل فتوح بقوله تعالى: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي } [الإسراء: 85] يشير إلى أن الروح من عالم الأمر، فإن الله تعالى خلق العوالم كثيرة كما جاء في الخبر بروايات مختلفة، فقال في بعض الروايات: " خلق ثلاثمائة وستين ألف عالم " ، وقد مرَّ تفصيلها ولكنه جعله محصورة في عالمين اثنين وهما الخلق والأمر، كما قال تعالى:

}أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ{]الأعراف: 54[، تبارك الله رب العالمين.

عبَّر عن عالم الدنيا: وهو ما يدرك بالحواس الخمس الظاهرة وهي: السمع والبصر والشم والذوق واللمس بالخلق.

وعبَّر عن عالم الآخرة: وهو ما يدرك بالحواس الخمس الباطنة وهي: العقل والقلب والسر والروح والخفي بالأمر.

فعالم الأمر هو: الأوليات العظائم التي خلقها الله تعالى للبقاء من الروح والعقل والقلم واللوح والعرش والكرسي والجنة والنار، وسمي عالم الأمر أمراً؛ لأنه أوجده بأمر كل من لا شيء بلا واسطة شيء كقوله:

}خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً{]مريم: 9[ولما كان أمره قديماً، فما يكون بالأمر القديم كان باقياً، وإن كان حادثاً، وتسمى عالم الخلق خلقاً؛ لأنه أوجده بالوسائط من شيء كقوله:

}وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ{]الأعراف: 185[فكما أن الوسائط كانت مخلوقة من شيء مخلوق سماه خلقاً خلقه الله للفناء فتبين أن قول: { ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي } [الإسراء: 85] إنما هو لتعريف الروح معناه إنها منه من عالم الأمر والبقاء لا من عالم الخلق والفناء، وإن قوله: { قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي } [الإسراء: 85] ليس للاستبهام، كما ظن جماعة أن الله تعالى أبهم علم الروح على الخلق واستأثره لنفسه حتى قالوا: إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن عالماً به جل منصوب حبيب الله ونبيه صلى الله عليه وسلم من أن يكون جاهلاً بالروح مع أنه عالم بالله وقد منَّ الله عليه بقوله: }وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ

عَظِيماً{]النساء: 113] أحسب أن علم الروح ما لم يكن يعلمه، ألم يخبر الله أنه علَّمه ما لم يكن يعلم، فأما سكوته عن جواب سؤال الروح وتوقفه انتظاراً الموحي حين سألته اليهود فقد كان لغموضه يرى في معنى الجواب دقة لا يفهمها اليهود لبلادة طباعهم وقساوة قلوبهم وفساد عقائدهم، وقال:

}**وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلاَّ ٱلْعَالِمُونَ**{]العنكبوت: 43] وهم أرباب السلوك والسائرون إلى الله.

فإنهم لما عبروا: عن النفس وصفاتها ووصلوا إلى حريم القلب عرفوا النفس بنور القلب.

ولما عبروا: بالسير عن القلب وصفاته ووصلوا إلى مقام السر عرفوا علم السير للقلب، وإذا عبروا: عن السر ووصلوا إلى عالم الروح عرفوا بنور الروح السر.

وإذا عبروا: عالم الروح ووصلوا إلى منزل الخفي عرفوا بشواهد الحق الروح، وإذا عبروا: عن منزل الخفي ووصلوا إلى ساحل بحر الحقيقة عرفوا بأنوار مشاهدات صفات الجمال الخفي.

وإذا فنوا بسطوات تجلي صفات الجلال عن آنية الوجود ووصلوا إلى جنة بحر الحقيقة كوشفوا بهوية الحق تعالى، وإذا استغرقوا في بحر الهوية وأبقوا ببقاء الألوهية عرفوا الله بالله ووحدوه وحين وجدوه هذا أوان إراءة ماهية كل شيء، كما هي هذا وقت

}**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي ٱلآفَاقِ وَفِيۤ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ**{]فصلت: 53] فحينئذ إذا طلع الصباح استغنى عن المصباح، وقد تحقق للعبد مقام "**كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً، فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي**

يبطش " ففي هذه الحالة كيف يبقى بمعرفة الروح خطر عند مَن هذه أحواله، وهو مع هذه الرتبة العلية والمواهب السنية من لواقط سواقط جنات سنبلات يبادر بوارد النبوة ونوادر الرسالة؟! فكيف بحال سيد المرسلين وخاتم النبيين وحبيب رب العالمين وأفضل الأولين والآخرين صلوات الله عليه وآله أجمعين في معرفة الروح، وهو الذي يقول " :**علمت ما كان وما سيكون** " وما أنا إذا أسرع في شرح معرفة الروح بما فتح الله علي ومنحني من الفتوح، كما يشهد به الكتاب والسنة والأخبار المروية والآثار المرضية، إن شاء الله عصمني الله من الخطأ والخلل، وعفا عني الشهود الذلل بفضله وكرمه.

فاعلم أن الروح الإنساني وهو أول شيء تعلقت به القدرة جوهرة نورانية ولطيفة ربانية من عالم الأمر، وعالم الأمر وهو الملكوت الذي خلق من لا شيء وعالم الخلق وهو الملك الذي خلق من شيء، كقوله تعالى:

{أَوَلَمْ يَنْظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ}

]الأعراف: 185[، فالعالم عالمان يعبر عنهما بالدنيا والآخرة، والملك والملكوت والشهادة والغيب والصورة والمعنى والخلق والأمر الظاهر والباطن والأجسام والأرواح ويراد بهما ظاهر الكون وباطنه، فثبت بالآية أن الملكوت الذي هو باطن الكون خلق من لا شيء إذ ما عداه من الملك خلق من شيء.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم " :**أول ما خلق الله جوهرة وأول ما خلق الله روحي** " ، وفي رواية " :**نوري**" وقوله " :**أول ما خلق الله العقل وأول ما خلق الله القلم** ".

وقول بعض الكبراء من الأئمة: إن أول المخلوقات على الإطلاق ملك كروبي يسمى العقل وهو صاحب القلم القلب بدليل توجه الخطاب عليه في قوله " :**أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر** " كما جاء في الحديث، ولما سواه فلما قال له " :**اجر بما هو كائن إلى يوم القيامة** " وتسميته قلماً، كتسمية صاحب السيف سيفاً.

وقد جاء في الخبر أن الروح ملك، قيل لخالد بن الوليد: سيف الله وهو أول لقب في الإسلام.

وقول الله تعالى:

﴿**يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَائِكَةُ صَفّاً**﴾[النبأ: 38] وقد جاء في الخبر أن الروح ملك يقوم صفاً والملائكة صفاً، فلا تبعد أن يكون هو الملك العظيم الذي هو أول المخلوقات، وهو روح النبي صلى الله عليه وسلم لقوله:

"**أول ما خلق الله روحي** " ولا يحتمل أن يكون المخلوق الأول المطلق إلا واحداً؛ لأن الشيئين المغايرين لا يكون كل واحد منهما أولاً في التكوين والإيجاد على الإطلاق؛ إذ لا يخلو إما أُحدثا مصاحبين أو أُحدثا متعاقبين، فإن أُحدثا مصاحبين معاً فلا يختص أحدهما من الآخر بالأولية فلا يكون واحد منهما أولاً على الانفراد، وإن أُحدثا متعاقبين يكون المبتدأ أولاً والمتعاقب ثانياً؛ فيكون الأول واحداً منهما لا محالة ولا يجوز الخلاف في كلام النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه الذي جاء بالصدق

﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ [النجم: 3-4] وأنه صلى الله عليه وسلم قد أثبت الأوليات فتعين لنا أن نحمل كلامه على المخلوق الأول وهو مسمى واحد له أسماء مختلفة، فبحسب كل صفة فيه سُمي باسم آخر.

وقد كثرت الأسماء والمسمى واحد وهو الأصل وما سواه تبعاً له فلا ريب في أن أصل الكون كان النبي صلى الله عليه وسلم لقوله " :**لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك** " فهو أولى أن يكون أصلاً، وما سواه أولى أن يكون تبعاً له؛ لأنه كان بالروح بذر شجرة الموجودات، فلما بلغ أشده أربعين سنة كان بالجسم والروح ثمرة شجرة الموجودات وهي سدرة المنتهى، فكما أن الثمرة تخرج من نوع الشجرة كان خروجه إلى

{**قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ**}]النجم: 9] ولهذا قال " :**نحن الآخرون السابقون**

"يعني: الآخرون بالخروج كالثمرة، والسابقون بالخلق كالبذر، فيلزم من ذلك أن يكون روحه صلى الله عليه وسلم أول شيء تعلقت به القدرة، وأن يكون هو المسمى بالأسماء المختلفة، فباعتبار أنه كان درة صدف الموجودات سُمي درة وجوهرة، كما جاء في الخبر " :**أول ما خلق الله جوهرة** " ، وفي رواية " :**درة فنظر إليها فذابت** " فخلق منها كذا وكذا، وباعتبار نورانيته سُمي نوراً، وباعتبار وفور عقله سُمي عقلاً، وباعتبار غلبات الصفات الملكية عليه سُمي مَلَكاً، وباعتبار أنه صاحب القلم سُمي قلماً كما ذكرناه، وإذا أمعنت النظر وجدت كل وصف بالعقل.

وحكي عنه خاصية من خواص روحه صلى الله عليه وسلم وهو قوله " :**أول ما خلق الله العقل فقال له: أقبل فأقبل، ثم قال: أدبر فأدبر** " وهذا حال روحه صلى الله عليه وسلم إذ قال له " :**أقبل** " **إلى الدنيا { رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }]الأنبياء: 107]** " **فأقبل، ثم قال أدبر** " أي:

{**ٱرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ**}]الفجر: 28] " فأدبر " عن الدنيا وراجع ربه ليلة المعراج،

ثم قال للعقل " :**وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحب إلي منك** " وهذا حاله صلى الله عليه وسلم أنه كان حبيب الله، وأحب الخلق إليه، وقوله تعالى للعقل:

"**بك أعرف، وبك آخذ، وبك أعطي، وبك أعاقب، وبك أثيب** " فهذا كله حاله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه من لم يعرف النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة لم يعرف الله ولو كان له ألف دليل على معرفة الله فمعناه:

بمعرفتك أعرف أي: من عرفك بالنبوة عرفني بالربوبية.

"وبك آخذ " أي: آخذ طاعة من أخذ منك ما أتيته من الدين والشريعة.

"وبك أعطي " أي: بشفاعتك أعطي درجات أهل الدرجات، كما قال صلى الله عليه وسلم " :**الناس يحتاجون إلى شفاعتي حتى إبراهيم** ."

"وبك أعاقب وبك أثيب " وذلك لقوله تعالى:

{وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَاقَ ٱلنَّبِيِّينَ لَمَآ آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوۤاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُمْ مِّنَ ٱلشَّاهِدِينَ}

[آل عمران: 81].

وذلك أن الله تعالى أخذ ميثاق كل نبي بعثه بأن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ويوصي أمته بالإيمان به ونصرة دينه، فمن آمن به من الأمم الماضية قبل بعثه أو بعد بعثه فهو من أهل الثواب، ومن لم يؤمن به من الأولين والآخرين فهو من أهل العقاب، ووضح فيه قوله " :**بك أعاقب وبك أثيب** ."

فكل ما ذكرناه في معرفة الروح فهو حال النبي صلى الله عليه وسلم ومقاله؛ فكيف يظن به أنه لم يكن عارفاً بالروح، والروح هو نفسه؟! وقد قال " :**من عرف**

نفسه فقد عرف ربه " وذلك أن الله تعالى خلق آدم وبنيه، وجعلهم خلفاء في الأرض، كما قال:

﴿**وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ**﴾[النمل: 62] وهذا أحد كرامة بني آدم، ومن شرط الخلافة أن يكون المستخلف يستجمع أوصاف المستخلف بالنيابة إلا ما اختص به المنوب بالأصالة مثل القدم والأحدية والصمدية والسلامة عن كل عيب ونقصان، فالروح خليفة الله وهو مجمع صفاته الذاتية له كالحياة والقدرة، والسمع والبصر والكلام، والعلم والإرادة والبقاء، والجسد خليفة الروح وهو مجمع صفاته باجتماعها في الروح علمنا أنه خليفة الله، وبذلك علمنا أن الجسد خليفة الروح لأنا وجدنا الجسد قبل اتصال الروح به وبعد انفصاله عنه خالياً عن هذه الصفات علمنا أنه بخلافة الروح اتصف بهذه الصفات، ولو لم يكن الروح متصفاً بهذه الصفات لخلافة الحق تعالى لم يكن الجسد بها متصفاً فبقي أن الروح باقٍ أبداً، والجسد فانٍ.

قلنا: وذلك لأن البقاء الأبدي من خاصية الروح فهو مختص به بالأصالة دون خليفته، كما أن الله تعالى اختص بالبقاء الأزلي والأبدي بالأصالة دون خليفته وهو الروح؛ فإنه حادث أبدي دون أزلي.

ثم اعلم أن الأرواح كلها خلقت من روح النبي صلى الله عليه وسلم وأن روحه أصل الأرواح، وإنها كما كان آدم ولهذا سُمي أميًّا؛ أي: إنه أم الأرواح، فكما كان آدم عليه السلام أبا البشر فكان النبي صلى الله عليه وسلم أبا الأرواح، وإنها كما كان آدم أبا حواء وأمها وذلك أن الله تعالى لما كان روح النبي صلى الله عليه وسلم:

"**كان الله ولم يكن معه شيء** " إلا روحه، وما كان شيء آخر ينسب روحه إليه أو يضاف إليه غير الله، فلما كان روحه أول باكورة أثمرها الله تعالى بإيجاده من شجرة الوجود، وأول شيء تعلقت به القدرة وشرفه بتشريف إضافته إلى نفسه فسماه

}**رُّوحِي**{]الحجر: 29[كما سُمي أول بيت من بيوت الله وضع للناس، وشرفه بالإضافة إلى نفسه، فقال: { بَيْتِيَ } ، ثم حين أراد أن يخلق آدم سواه ونفخ فيه من روحه أي: من الروح المضاف إلى نفسه وهو روح النبي صلى الله عليه وسلم كما قال: }**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي**{]الحجر: 29[فكان روح آدم من روح النبي – عليهما السلام – بهذا الدليل، وكذلك أرواح أولاده لقوله تعالى: }**ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ**{]السجدة: 8-9[وقال تعالى في مريم عليها السلام:

}**فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا**{]الأنبياء: 91[فكانت النفخة لجبريل وروحها من روح النبي صلى الله عليه وسلم المضاف إلى الحضرة، وهذا أحد أسرار قوله صلى الله عليه وسلم " :**آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة .**"

ثم قوله تعالى: { وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً } [الإسراء: 85[هذا راجع إلى اليهود الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح يعني: أنكم سألتموني وقد أجبتكم أنه { مِنْ أَمْرِ رَبِّي } [الإسراء: 85[ولكنكم ما تفهمون كلامي؛ لأني أخبركم عن عالم الآخرة وعن الغيب وأنتم أهل الدنيا والحس، والدنيا وعلمها قليل بالنسبة إلى الآخرة وعلمها، فإنكم عن علمها غافلون كقوله:

}يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ{

]الروم: 7[.

ثم أخبر عن عزة الفراق وعزة الرحمن بقوله تعالى: { وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً } [الإسراء: 86] إشارة إلى أنه ليس في استعداد الإنسان ولا في مخلوق غيره أن يأتي بكلام جامع مثل كلام الله تعالى لعباده في غاية الجزالة والفصاحة، وإشارة في غاية الدقة والحذاقة، ولطائف في غاية اللطف واللطافة، وحقائق في غاية الحقية والنزاهة، وكما قال علي رضي الله عنه: " ما من آية إلا ولها أربعة معانٍ: ظاهر وباطن وحد ومطلع " ، فالظاهر للتلاوة، والباطن للفهم، والحد هو أحكام الحلال والحرام، والمطلع هو مراد الله من العندية.

وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه: عبارة القرآن للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء.

وقال: العبارة للسمع، والإشارة للعقل، واللطائف للمشاهدة، والحقائق للاستسلام.

أي: لا سبيل للجوهر الإنساني إذا استغرق في بحر حقائقه بالخروج إلى ساحله أبد الآباد إلا أن يستسلم لحقائقه؛ لأنه لا نهاية لها، فإذا تحقق أنه ليس لمخلوق أن يأتي بكلام جامع مثل كلام الخالق وهو غير مخلوق، ولو ذهب به الله عن قلوب أنبيائه لا يجدون ناصراً ينصرهم على رده كقوله تعالى: { ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً * إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ } [الإسراء: 86-87] أي: ولكن الله قادر على أن يرد إليك برحمته { إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ } [الإسراء: 87] في الأزل { عَلَيْكَ كَبِيراً } [الإسراء: 87] يسعك فضله من الأزل إلى الأبد.

}قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإِنْسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً { 88 } *وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً{ 89

ثم قال تعالى شاهداً أو دليلاً على ما قررناه لكلامه: { قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلإِنْسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ } [الإسراء: 88] أي: جامعاً لما ذكرناه { لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ } [الإسراء: 88] من الإنس والجن { لِبَعْضٍ ظَهِيراً } [الإسراء: 88] أميناً وناصراً.

ولفظ الجن يتناوله الملائكة وكل من لم يدركه حس البصر لأنهم مستورون عن البصر يقال: جن بترسه إذا استتر به؛ ولهذا قيل للترس المجنّ، وإنما قلنا للباقون بمثله؛ لأنه ليس لكلام الله مثل؛ إذ كلامه صفته، وكما أنه ليس لذاته تعالى مثل وكذلك ليس لصفاته مثل؛ لأنها قديمة قائمة بذاته تبارك وتعالى وصفات المخلوق مخلوقة قابلة للتغيير والفناء.

ثم قال: { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ } [الإسراء: 89] أي: وجهنا ودبرنا لمن نسي الطريق إلينا في معاني هذا القرآن وأسراره وإشاراته من كل طريقة وسبب وإرشاد يتعلق بالروح إلينا { فَأَبَىٰ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ } [الإسراء: 89] الرجوع إلينا وما اختاروا { إِلاَّ كُفُورا } [الإسراء: 89] جحوداً أو إنكاراً أو إصراراً على كفران نعمة الدين والقرآن وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم.

}وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلأَرْضِ يَنْبُوعاً* { 90 } أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً91 { } *أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلاۤئِكَةِ

قَبِيلاً { 92 } *أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً{ 93 } * وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوۤاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ إِلاَّ أَن قَالُوۤاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً{ 94

وبقوله تعالى: { وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلأَرْضِ يَنْبُوعاً * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ } [الإسراء: 90-91] الآية إلى قوله: { قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً } [الإسراء: 93] يشير إلى أنهم أرباب الحس الحيواني يطلبون الإعجاز من ظاهر المحسوسات ما لهم بصيرة يبصرون بها شواهد الحق ودلائل النبوة، وإعجاز عالم المعاني بالولاية الروحانية والقوة الربانية؛ فيطلبون منه تزكية النفوس، وتصفية القلوب وتحلية الأرواح، وتفجير ينابيع الحكمة من أرض القلوب؛ لينبت منها نخيل المشاهدات أو أعناب المكاشفات في جنات المواصلات { قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي } [الإسراء: 93] أي: هو القادر على ملتمسكم، والحكيم بصلاحية الأحوال والأمور إن يشاء يبذل مسئولكم ويعطي مأمولكم { هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً } [الإسراء: 93] مثلكم { رَّسُولاً } [الإسراء: 93] من الله مبلغاً رسالته مؤدباً بآداب العبودية، مستسلماً لأحكام الربوبية.

ثم أخبر عن أصل ضلالتهم أنه من غاية جهالتهم، بقوله تعالى: { وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوۤاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ إِلاَّ أَن قَالُوۤاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً } [الإسراء: 94] إشارة إلى أن أهل النسيان والغفلة الذين لم يبلغوا بعد مبلغ الإنسان الكامل ولا مبلغ الرجال البالغين، ومن { كَتَبَ } الله

{ **فِي قُلُوبِهِمُ ٱلإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ** } [المجادلة: 22] لا يعرفون الأنبياء والرسل، وما لهم عند الله من المقامات العلية والأحوال المرضية السنية، وما أنعم

الله عليهم من القربات والكمالات مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، يعدونهم من أبناء جنسهم ويحسبون أن الملائكة أعلى درجة منهم وأجل منهم منزلة عند الله، وأنهم عن معرفة رتبة الإنسان الكامل بمعزل والله جعله مسجوداً للملائكة المقربين لما أودع فيه من سر الخلافة، فيختارون الملائكة على الأنبياء كما { قَالُوۤاْ } [الإسراء: 94] متعجبين: { أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَراً رَّسُولاً } [الإسراء: 94].

}قُل لَوْ كَانَ فِي ٱلأَرْضِ مَلاۤئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكاً رَّسُولاً { 95} *قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً{ 96 } * وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً { 97* } ذَلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا وَقَالُواْ أَءِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً{ 98

وأرادوا بذلك أن الرسالة بالملائكة أولى وأحق حتى أجابهم الله بقوله: { قُل لَوْ كَانَ فِي ٱلأَرْضِ مَلاۤئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكاً رَّسُولاً } [الإسراء: 95] يشير به إلى أنه لو كان الملك مستأهلاً للخلافة في الأرض لكنا نزلنا عليهم من السماء رسولاً من الملائكة.

{ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } [الإسراء: 95] بأنه مستعد للرسالة والمُلك { إِنَّهُ كَانَ } [الإسراء: 96] في الأزل { بِعِبَادِهِ } [الإسراء: 96] الذين يخلقهم { خَبِيراً } [الإسراء: 96]بما جبلهم الله عليه { بَصِيراً } [الإسراء: 96] بما يتولد

منهم { وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ } [الإسراء: 97] روحه عند رشاش نوره على الأرواح بإصابة النور { فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ } [الإسراء: 97] إلى صراط مستقيم الدين القويم، بقبول دعوة الأنبياء وغيرهم من بيديه متابعتهم { وَمَن يُضْلِلْ } [الإسراء: 97] بإخطاء ذلك النور { فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ } [الإسراء: 97] في الهداية من الأنبياء وغيرهم { مِن دُونِهِ } [الإسراء: 97] أي: من دون الله يشير به إلى أن الهداية في البداية مبنية على إصابة النور عند رشاشه؛ فمن لم يصب ذلك النور وأخطأه بقي في ظلمة الضلالة، وليس لأحد أن يخرجه منها إلى نور الهداية إلا الله تعالى؛ فإنه الهادي في البداية والنهاية، وهو الولي الذي يخرج المؤمنين من الظلمات إلى النور من الأزل إلى الأبد، واستوى عنده الأزل والأبد، وكل وقت له أزل وأبد.

{ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً } [الإسراء: 97] لأنهم كانوا يعيشون في الدنيا مكبين على وجوههم في طلب السفليات من الدنيا وزخارفها وشهواتها، عمياً عن رؤية الحق، بكماً من قول الحق، صماً عن استماع الحق؛ وذلك لعدم إصابة النور

{ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً } [الإسراء: 72] وقال صلى الله عليه وسلم: " **يموت المرء على ما عاش فيه ويحشر على ما مات عليه** ".

ثم قال: { مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً } [الإسراء: 97] لأنهم كانوا في جهنم الحرص والشهوات، كلما سكنت فار بشهوة باستيفاء حظها زادوا سعيرها باشتغال طلب شهوة أخرى.

{ ذَلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا وَقَالُواْ أَءِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً } [الإسراء: 98] يشير إلى أنهم لو كانوا مؤمنين بالحشر والنشر ما أكبوا

على جهنم الحرص على الدنيا وشهواتها، وما أعرضوا عن الآيات البينات التي جاء بها الأنبياء – عليهم السلام–.

99 تفسير هٰذه الآية غير موجود

100

}قُل لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلإِنْفَاقِ وَكَانَ ٱلإنْسَانُ قَتُوراً { 100} *وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْئَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يٰمُوسَىٰ مَسْحُوراً { 101 } *قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰؤُلاۤءِ إِلاَّ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يٰفِرْعَونُ مَثْبُوراً { 102 } *فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعاً{ 103} * وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً{ 104

{ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لاَّ رَيْبَ فِيهِ فَأَبَىٰ ٱلظَّالِمُونَ إِلاَّ كُفُوراً } [الإسراء: 99] يشير بقوله: { أَوَلَمْ يَرَوْاْ } [الإسراء: 99] إلى عمى بصيرتهم أي: لم يروا، لأنهم لو يرون الله خالق السماوات والأرض؛ ليرونه قادراً على إعادة الأموات وإحيائهم { فَأَبَىٰ ٱلظَّالِمُونَ } [الإسراء: 99] من عماهم إلا الجحود والإنكار.

{ قُل لَّوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلإِنْفَاقِ } [الإسراء: 100] يعني لو أنتم تقدرون على ما أنا قادر عليه من إيجاد الخلق ورزقهم، وإيصال الخير إليهم – وأنت على خشية طبيعة الإنسانية – لبخلتم به وخشيتم

نفاذ ما عندي من خوف البشرية { وَكَانَ ٱلإنْسَانُ قَتُوراً } [الإسراء: 100] أي: خلق بخيلاً ممسكاً غير منفق إلا يسيراً عند الضرورة.

ثم أخبر عن إنكار الإنسان الآيات والمعجزات بقوله تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ } [الإسراء: 101] يشير إلى الآيات التي تدل على نبوته فيما يتعلق بنفسه خاصة منها إلقاؤه في اليم، وإخراجه منه، وتربيته في حجر عدوه فرعون، وتحريم المراضع عليه ورده إلى أمه، وإلقاء المحبة عليه، واصطناعه لنفسه، وإيناسه النار من جانب الطور، والنداء من الشجرة

{ **أَن يٰمُوسَىٰ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ** } [القصص: 30]، واستماع كلام الله، وقوة حمل الخطاب والجواب، وأعظم الآيات جرأته على طلب الرؤية، وإجابته بالتجلي، وصعقه منه، وإفاقته من الصعقة، وإحلال العقدة من لسانه، وإلقاء النور على وجهه، واشتعال النار قلنسوته عند الغضب، واليد البيضاء وغيرها من الآيات.

{ فَسْئَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ } [الإسراء: 101] يعني: موسى بهذه الآيات هل راؤها واستدلوا بها وآمنوا عليها؟ إلا أهل الحق بمن جعلهم الله أئمة يهتدون بأمره لما صبروا وكانوا بآياته يوقنون { فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يٰمُوسَىٰ مَسْحُوراً } [الإسراء: 101] يعني: لما كان فرعون من أهل الظن لا من أهل اليقين، رآه بنظر الظن الكاذب ساحراً، ورأى الآيات سحراً، قال موسى: { لَقَدْ عَلِمْتَ } [الإسراء: 102] أي: لو نظرت بنظر العقل لعلمت أنه { مَآ أَنزَلَ هَـٰؤُلآءِ } [الإسراء: 102] يعني: الآيات { إِلاَّ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ } [الإسراء: 102] أي: بلا بصيرة وعقل.

والظن ظنان: ظن كاذب، وظن صادق، وكان ظن فرعون كاذباً، وظن موسى عليه السلام صادقاً { فَأَرَادَ } [الإسراء: 103] فرعون من نتائج ظنه الكاذب { أَن يَسْتَفِزَّهُم } [الإسراء: 103] أي: يخرج موسى وقومه { مِّنَ ٱلأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن

مَّعَهُ جَمِيعاً } [الإسراء: 103] ونجينا موسى وقومه من نتائج ظنه الصادق { وَقُلْنَا } [الإسراء: 104] لهم { مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلأَرْضَ } [الإسراء: 104] يعني: ديارهم ومساكنهم { فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً } [الإسراء: 104] أي: يلف الكافرون بالمؤمنين لعلهم ينجوهم من العذاب، فيخاطبون بقوله تعالى:

{ **وَٱمْتَازُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ** } [يس: 59] ولا ينفعهم التلفف، بل يقال لهم:

{ **فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ** } [الشورى: 7].

105

}وَبِٱلْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً105 { } *وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً106 { } *قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوۤاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً { 107 } *وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً { 108 } *وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً{ 109 } * قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلأَسْمَآءَ ٱلْحُسْنَىٰ وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلاً{ 110 } * وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً111{

ثم أخبر عن القرآن وما فيه من الحق والفرقان بقوله تعالى: { وَبِٱلْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ } [الإسراء: 105] إشارة إلى أن إنزال القرآن كان بالحق لا بالباطل؛

وذلك لأنه تعالى لما خلق الأرواح المقدسة

{ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ } [التين: 4]، ثم بالنفخة ردها إلى

{ أَسۡفَلَ سَافِلِينَ } [التين: 5] وهو قالب الإنسان احتاجت الأرواح في الرجوع إلى أعلى عليين قرب الحق وجواره إلى حبل يعتصم به بالرجوع؛ فأنزل الله القرآن وهو الحبل المتين وقال:

{ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ } [آل عمران: 103].

{ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَ } [الإسراء: 105] ليضل به أهل الشقاوة بالرد والجحود والامتناع عن الاعتصام به، ويبقي به في الأسفل حكمة بالغة منهم، ويهدي به أهل السعادة بالقبول والإيمان والاعتصام به، والتخلق بخُلقه إلى أن يصل إلى كمال قربه، فيعتصم به كما قال:

{ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَاكُمۡ } [الحج: 78].

{ وَمَآ أَرۡسَلۡنَاكَ } [الفرقان: 56] يا محمد

{ إِلاَّ مُبَشِّراً } [الفرقان: 56] لأهل السعادة بسعادة الوصول والعرفان عند التمسك بالقرآن { وَنَذِيراً } [الفرقان: 56] لأهل الشقاوة بشقاوة البعد والحرمان والخلود في النيران عند الانفصام عن حبل القرآن وترك الاعتصام به { وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ } [الإسراء: 106] أي: على أهل الغفلة والنسيان { عَلَىٰ مُكْثٍ } [الإسراء: 106] وهذا كمال العناية بأن فرقه آية آية وسورة سورة في الإنزال بالتدريج ليعلموا بها ويتخلقوا بالتأني والتدبر.

{ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً } [الإسراء: 106] على قانون الحكمة ليبلغ به أهل السعادة

والشقاوة إلى أعلى درجات القرب وأسفل دركات البعد، وإظهار اللطف والقهر.
ثم قال: { قُلْ } [الإسراء: 107] لأهل السعادة

{ آمِنُواْ بِهِ } [الإسراء: 107] إظهاراً للطفنا أو

{ قُلْ } [الإسراء: 107] لأهل الشقاوة

{ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوۤاْ } [الإسراء: 107] إظهاراً لقهرنا، فإن الحكمة في تكوين الفريقين إظهار اللطف والقهر

{ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ } [الإسراء: 107] يعني: العلماء بالله إذا آتاهم الله العلم بإصابة رشاش نوره في عالم الأرواح

{ مِن قَبْلِهِ } [الإسراء: 107] من قبل نزول القرآن

{ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ } [الإسراء: 107] يعني: خطاب
{ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ } [الأعراف: 172] { يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً } [الإسراء: 107] للتواضع والتذلل عند الإجابة إذ قالوا: **{ بَلَىٰ }** [الأعراف: 172].
{ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَآ } [الإسراء: 108] على ما وعدنا ربنا في الأزل بقوله:
{ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ } [البقرة: 217] يا أهل الشقاوة
{ عَن دِينِهِ } [البقرة: 217] أي: الإيمان وقبول القرآن
{ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } [المائدة: 54] { إِن كَانَ } [الإسراء: 108] أي: قد كان { وَعْدُ رَبِّنَا } [الإسراء: 108] في الأزل { لَمَفْعُولاً } [الإسراء: 108] إلى الأبد.

ثم كرر قوله: { وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ } [الإسراء: 109] أي: إذا تتلى عليهم مرة أخرى في عام العودة يخرون بالأبدان على وجوههم و { يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً } [الإسراء: 109] يشير به إلى أنه في عالم الأرواح كان التواضع والسجود؛ لأنه من شأن الأرواح، ولكن لم يكن البكاء والخشوع؛ لأنه من شأن الأبدان، وإنما أرسلت الأرواح إلى الأبدان لتحصيل هذه المنافع في العبودية وبقوله تعالى: { قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ } [الإسراء: 110] يشير إلى أن الله اسم الذات والرحمن اسم الصفة { أَيّاً مَّا تَدْعُواْ } [الإسراء: 110] أي: بأي اسم من أسماء الذات والصفات تدعونه { فَلَهُ ٱلأَسْمَآءَ ٱلْحُسْنَىٰ } [الإسراء: 110] أي: كل اسم من أسمائه حسن فادعوه حسناً، وهو أن تدعوه بالإخلاص.

}وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ } [الإسراء: 110] أي: بدعائك وعبادتك رياءً وسمعةً

{ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا } [الإسراء: 110] أي: ولا تخفضها بالكلية عن نظرهم لئلا يُحرموا عن المتابعة والأسوة الحسنة

{ وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلاً } [الإسراء: 110] وهو إظهار الفرائض بالجماعات في المساجد، وإخفاء النوافل وُحْدَاناً في البيوت

{ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً } [الإسراء: 111] فيكون كمال عنايته وعواطف إحسانه مخصوصاً بولده ويحرم عباده منه

{ وَلَم يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِي ٱلْمُلْكِ } [الإسراء: 111] فيكون مانعاً من إصابة الخير إلى عباده وأوليائه

{ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ } [الإسراء: 111] فيكون محتاجاً إليه فينعم عليه دون من استغنى عنه، بل أولياؤه الذين آمنوا وجاهدوا في الله حق جهاده وكبروا الله وعظموه بالمحبة والطلب والعبودية وهو معنى قوله:

{ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً } [الإسراء: 111].

http://www.altafsir.com/Tafasir.asp?tMadhNo=0&tTafsirNo=97&tSoraNo=17&tAyahNo=105&tDisplay=yes&Page=2&Size=1&LanguageId=1

Muhammad Umar Chand